

تحت شجرة الجوافة

مروة القباني

الإهداء:

إلى ظلك الذي ما يزال يعانق روعي حتى النهاية.
إليك أنت وحدك تعلم من تكون لذلك لن أبوح
باسمك أبد الدهر.

المقدمة:

بدأت قصة عشقي لك منذ ثماني سنوات مضت،
وستكبر داخلي لأحملها نحو العالم أجمع لتُخَلق حاملة
عطر الياسمين الدمشقي ، حيث تمتزج مياه نهر النيل
مع الفرات ، ونصبح أنا والكلمات موطن واحد لعشق
سيخلده التاريخ.

من أكثر الأشياء التي أبدي لله الشكر عليها وجود عائلة
صغيرة تحملُ دمي وتشعرُ بالفخر لكوني جزءاً مُهمّاً
داخل حياتهم.

معك يا حبيبي علمتُ بأن الأحلام تتحقق وبأنّ الزواج
ليست مرحلة جديدة وحسب، بل مهدٌ لبناء المستقبل.

يمكنني اليوم أن أقول خلفَ كُلِّ كاتبة مُبدعة عائلة
عظيمة تملأ قلبها بالحبِّ والأمان.

الفصل الأول: تحت شجرة الجوافة..

المعجزات السبعة:

يضعف القلبُ بين أضلعنا، عندما ندرك بأننا أعطينا غالبية الوقت الذي نمتلكه، للأشياء التي تُرهقنا دون وعي أو إدراك.

لكن ماذا عن وجود الحُبِّ الضائع داخل طرقات وعرة الوصول، هل سنكتفي بمشاهدة الأمل المتبقي يذهب دون عودة، أم أننا سنرحل معه نحو تلك الضفاف المجهولة المكان والزمان.

لو أتى إليكم ذلك الشخص الذي يمتلك روحاً تُداعب الطفولة داخل أرواحكم، لتمسح عنه تعب السنين، وتعري له الحقيقة الكاملة أمام مرآته، تجعله يعود إليه و يثق بذاته كما كان سابقاً، لن تدعوه يرحل بهذه السهولة، لكن ماذا عن عدم وجود الأحقية بامتلاكه؟!

وصلتُ إلى مطار القاهرة الدولي بحقيبة صغيرة رثّة، وقلب يرتجف بشوق لرؤية الياسمين الدمشقي ، أما يدي كانت تعانق جسدي الواهن الضعيف، بملامح خبأتها داخل كتابي للتواري عن نظرات الشفقة والرحمة في عيون العابرين من حولي.

جلستُ على أقرب مقعد داخل استراحة كبيرة
للمغادرين، بعد أن خُتِمَت أوراقِ الثبوتية للعودة نحو
أرض الوطن، لم أكن سوى مجرد سائحة أجنبية لمدة
شهر كامل، كما كان الأمر بالاتفاق مع دار النشر
لحضورى معرض القاهرة الدولي للكتاب لعام ٢٠٢٣ .

انتظرت قدومك كثيراً لرؤية وجهك الجميل، بل لترسيخ
ذكرى أخيرة عن قلب عشتُ داخله لمدة من الزمن،
لكنك لم تأتي لذلك قررت إرسال المخطوطة إليك عبر
البريد الخاص بالمطار نحو منزلك الريفي المتواضع
على أمل أن تقرأه بعين قلبك لا عقلك، وبروحٍ أحببتك
حتى أدمنت قرب رائحة عطرك .

لم أعد أنتظر وجود الحُب في حياتي بعد أن أصبحت
كل الحياة، لكنني أتألم كلما رأيتُ يدي فارغتين منك
عدى عن بعض حبات الليمون التي قطفتها في الأمس
لتعطيني إياها كآخر ذكرى بيننا، ولكنك نسيت يا حبيبي
بأن الليمون سيدبل لا محالة أما عشقي لك سيكبر داخلي
مع مرور الوقت حتى أصبح أنا أنت .

أمسكت هاتفها المحمول لتضيء شاشته وترى صورة
أبنائها الثلاث بأعمارهم الصغيرة و المختلفة يعانقون
وجهها بشيء من المرح و السعادة .

عادت بها الذكريات إلى وقت مضى، حيث الورود
الجميلة الألوان كانت معشوقها في هذه الحياة
تستيقظ كل صباح لتجلس معهم و تتحدث إليهم عن
أسرارها المخبئة داخل قلبها وخفايا روحها الضائعة.
لا شيء يعكر صفو حياتها وهي تمتلك حياة سعيدة و
منظمة كما أرادت دوماً؛ بأطفال يحملون ملامحها و
روحها النقية وزواج قائم على المحبة و المودة، عائلة
زوجها التي احتضنتها على الدوام كابنة وجزء مهم
داخل حياتهم، وقد بدأت تحقيق أحلامها داخل عالم
الكتابة بتأليف الروايات و الدخول إلى عالم المعارض
الدولية حتى عُرفَ اسمها للكثير من الناس وأصبح لديها
العديد من القراء وهذا ما أسعدها بشكل مختلف، وهي
ترى عالمها الخاص يبني لها قصر مُمرّد بالأزهار
تسيجُّه الأشجار المثمرة لتشعر بطفولتها تعود إليها.
لكن ماذا عن القلب الذي كتبت عنه الكثير و لا تؤمن
بوجود غايات مرجوة لتحقيق آماله، وهي توقن بحق
خطره على نفسها و المحيط من حولها، فالحب داخل
قلوبنا لا يعطينا سوى المغامرات نحو القمم الشاهقة
حيث الأمواج العاتية والتي تجرف بنا نحو الدمار
المحتم.

لذلك انكفئت على نفسها قانعة بما أعطاه الله متجاهلة
أمنيته و أحلامه التي اعتبرتها مراهقات أثنى متمرده.

حتى جاءها ذاك الصباح الخريفي على هيئة صوت
رجولي يشوبه بحّة حنين للماضي والحاضر معطر
بالفواكه الحمضية الريفية وتراب الأرض الرطبة بعد
هطول أولى حبات المطر ليعلن فصل الشتاء القادم بعد
انتهاء فصل الصيف و حرارته.

لم تكن تلك المكالمة الهاتفية سوى اتصال روتيني من
العمل لإلقاء الضوء على بعض المشاكل أو الجدل
حول نقاط معينة ومواضيع عملية لتبادل الأفكار و
الخبرات.

وهذا ما جعل عقلها يرتاح ويستأنس لذلك الصوت
المنبعث لها خلال الأيام القادمة.

وتنسى بأن أكبر معارك الحُب التي يختارها لنا القدر
تأتينا على مهلٍ وسط زحام الأيام، جازمين أننا أقوياء
نداوي الجرح بالجروح، نضع فوق الدم دماً، ونقف
على قدمنا المكسورة بغرورٍ متناسين ضعفنا و أحقية
الروح بالشفاف لنرى أنفسنا في نهاية المطاف نبثر تلك
القدم دون رحمة.

أما عن زماننا الذي نعيش داخله حيث أصبح العالم قرية صغيرة نعتقد بقدرتنا على تنظيمنا لمشاعرنا والسيطرة الكاملة على أنفسنا وقلوبنا النابضة داخل أضلعنا، لكن ما إن تبدأ المعركة بين القلب والعقل سيُخلق لنا أجنحة تأخذنا نحو عالم لا يشبه الذي كنا داخله سابقاً، فلا نعود إلى ماضينا ولا ننتمي إلى مستقبلنا الذي رسمناه وخططنا له مسبقاً.

لم تكن تعلم بأنها ستجد داخله مرآتها الضائعة، قلبها المجنون، وعقلها الذي يحتوي ذكرياتهما المشتركة على الرغم من فارق السنين بينهما، إلا أنهما كانا يتقاسمان مجرة النجوم، الصراع لتحقيق الأحلام، وقلب ينشطر إلى نصفين، كمدينة رومانية قُسمت إلى نصفين لتصبح بين قارتين مختلفتين حدودها سماء واحدة، وفي منتصفها شجر الليمون و الرمان، عُرس أسفل إحدى أشجار الجوافة مطرقة عظيمة تحكي قصص مُخفاة من الأساطير التي سيتذكرها بعد قراءته لروايتها التي كتبتها عنهما كرجاء إلى القدر لتحقيق اللقاء بالأخرى.

في صباح اليوم السابع من كانون الأول استيقظت باكراً على صوت رنين الهاتف المحمول، وقد حاولت تجاهل صوته كثيراً قبل أن تجيب بفتور على المتصل في الجهة الأخرى.

لكن الأمر الذي لم يكن متوقع لها هو دعوتها نحو أرض معرض القاهرة الدولية ولمدة شهر كامل، الخبر الجميل الذي جعلها تقفز من على السرير بحماس شديد وشغف.

لكن ماذا عن شعورها الآن بعد مضي وقت المعرض و عيشها الفترة التي مضت وكأنها لم تكن هي التي عاشتها بل شاهدها من خلال عينيها، كما لو أنها كانت تجلس على كرسي تنظر إلى الشاشة الكبيرة الموضوعة على الحائط منغمسة في تفاصيل شاهدها لأكثر من مرة و أمتها كثيراً لكنها لم تستطع إيقافها.

صدح النداء الأخير في أرجاء المكان، لتنهض بحركة روتينية نحو البهو الكبير المؤدي إلى بوابة الطائرة كما أرشدتهم المضيئة الرئيسية.

لم تكن تأبه لما يدور حولها إلا أنها كانت تحاول الوصول نحو المقعد بسرعة كبيرة لتغمض عينيها وترتاح بعد طول عناء، على عكس رحلتها عند القدوم إلى أرض مصر، داعب الحزن قلبها وهي ترى نفسها عائدة نحو دمشق بيدين خاويتين منه إلا عن البعض من الذكريات و العديد من الهدايا التي كان يجلبها معه عند كل لقاء بينهما.

ذرفت بضع دموع و خيبتها التي مزقت كل جميل
حصل معها على الرغم من نجاحها الذي أبهر العيون
من حولها.

تخيلت نفسها تقف على حافة جبل قاسيون و عينيها
مثبتة نحو السماء الصافية، لكنها لا ترى بوضوح بسبب
احتراق الدموع في مقلتيها، تنهيدة واحدة تذكرها
بمعجزاتها السبعة التي دخلت إلى حياتها منذ قرابة سنة
كاملة وهي تكتشف كم كانت بعيدة عنها و عن ذاتها
التي لم ترها إلا من خلال مرآته هو الذي استطاع
احتضان الطفلة داخلها على الرغم من بعد المسافات
بينهما، لكن ماذا عن غيابه المفاجئ، وحاجتها إليه في
الأوقات الصعبة والمظلمة، وهي تعلم عدم أحقيتها
بامتلاك قلبه.

خطوة أخرى تقربها من الهواء العليل، الذي يداعب
خصلات شعرها البني، ويملاً رئتيها بالهواء الساخن
على الرغم من برودته القارسة، لكن قلبها المشتعل لا
يمكن لأي شيء إخماد الحريق داخله، لا قدرة لها حتى
على إبعاده عن الخطر المحدق به رغم معرفتها
بوعورة الطريق.

خطوة أخيرة تشعر بقدميها تلامس الفراغ والوجود،
تقفز بها نحو شجرة الجوافة البعيدة، حيث ينتظرها في
كل لقاء بينهما، تبدأه بقبلة على ثغره الكرزي وتنتهي
بعناق بين أضلعه، لكن كيف سيكون لقائهم بعد الآن،
ربما سيبدأ بقبلة من فوق غيمة بيضاء قطنية و لينتهي
بهطول حبات المطر الصيفية رثاء حبهم الأبدى كما
كانت تعتقد.

عندما يتم تخييركم بين الحياة والحُب، البحر والبر،
وبين السماء والأرض، سيكون قراركم الذي قمتم
باتخاذَه إما على قدر حُبِّكم المجنون و المحفوف
بالمخاطر، أو عقلكم الصلب و الرغبة في حياة أكثر
أماناً كما يفعل الجميع من حولنا.

لكن ماذا عن القفز من فوق قمة الجبل المقابل للمروج
الخضراء، وهل ستشفع لها شجرة الليمون المراقبة لكل
حركاتها و سكناتها، هل سيغفر لها أطفالها رحيلها عن
هذا العالم في وقت مبكر جداً، وهل بإمكانها مسح دموع
أهلها المهدورة بالرغم من عدم استحقاقها لها؟!!

ستجد صورتها في أعلى صفحات المجلات و على شاشات التلفاز ، ستتداول الإعلام قصتها حول العالم، حينها لن تكون كتابة الرواية ذو فائدة إلا لمن أراد فعلاً قراءتها كحبيبها الذي فقدتها وهو يحاول البحث عنها من خلف الكلمات .

لذلك قررت ميار منذ قرابة الشهر كتابة الرواية و إرسالها عبر البريد من داخل المطار قبل مغادرتها نحو الطرف الآخر من العالم، سيجلس تحت تلك الشجرة المعتادة على سماع قصصهم و مغامراتهم الجنونية، يتأمل غلاف الرواية و يشتم رائحة الأوراق، ربما سيكتب على الورقة الأولى ذكرى موعد ولادة طفلهم الأول والأخير، أو حتى تخطيط اسمه الأول والبعض من الكلمات الصعيدية الجميلة لكنها لن تتوقع أبداً كتابته رسالة إليها يعبر فيها عن حبه لها عزاءً عن رحيلها، وهل كان قلبه يعرف ما الذي يحصل معها؟!

في هذا اليوم تلقى بريداً إلكترونياً بوصول طرد صغير باسمه، وهذا ما أثار قلقه منذ الصباح الباكر ليعبر الحقل الأخضر نحو مكتبة البريد في الحي المقابل له خلال عشرة دقائق و يصل نحو شجرة الجوافة وسط فوضى عارمة، كان هو سببها دون أن يدري.

جلس و هو يحاول التقاط أنفاسه المتسارعة محاولاً فتح
المُغلف و رؤية الطرد الذي كان عبارة عن رواية
(تحت شجرة الجوافة) التي أخبرته عنها ميار، لكن
لماذا لم تحاول الصبر و إعطائها له بعد وصولها إلى
دمشق.

اعتصر قلبه من فرط الألم والشوق وهو يحاول تذكر
رسالتها الأخيرة له، هل كانت تحاول إخباره شيء ما
لكنه لم يلاحظ الأمر، مرر يده لداخل جيبه و اخرج
منها رسالتها الأخيرة التي قام بكتابتها على ورقة بيضاء
لتبقى معه.

عزيزي:

للحُبِّ مراتبٌ كثيرةٌ أجملها قلوب الأطفال البريئة،
أرقاها حُبُّ العائلة، أما عن مرتبة الجنون فهي حُبِّي
الكبير لك و أنا أعلم جيداً أننا في كلّ مرة نلتقي بها
سأعود إلى فراشي أوي إليه بقلب أيديه خاوية منك
عدى عن بقايا عطرك التي يشوبها شيئاً من فاكهة
الجوافة.

اليوم وللمرة الأولى أدرك صلة شجر الجوافة بعشقنا يا
حبيبي.

كيف لهذه الفاكهة أن ترتبط بالتقاء قلوبنا وكأننا
نستمدُّ منها أعواد الخشب الرفيعة لبناء عش يجمعني بك
عندما يحلُّ موعد اللقاء.

لذلك قررتُ كتابة هذه الرواية لتخليد حُبي المجنون
لروحك النقيّة، وكتعزية لي عن الوقت الذي سأمضيه
بعيدة عنك والحنين يؤرق مهجتي والفؤاد.
حبيبتيك ميار.

كرر قراءة الرسالة لعدة مرات قبل أن يبعث لها رسالة
تأكيداً عن وصول الرواية إليه، ومحاولاً الاطمئنان
عليها بعد أن أقلقه غيابها المفاجئ له و لمدة أسبوع دون
الحديث معه أو تواجدها على مواقع التواصل
الاجتماعي دون أي مقدمة.

إلى حبيبتي الغالية على قلبي على الرغم من بعد
المسافات بيننا.

تحت شجرة الجوافة بدأت قصة عشقنا و تمنيتُ رؤيتي
لوجهك الجميل المُشابه للشمس عندما تبرزُ من ضفاف
نهر النيل الشرقية فتعانق دفئها الكائنات ويمتلئ بالحب
النقي.

لكنني لم أدرك يوماً بأنك ستغربين عن الوجود ولو بعد
حين، فيا لقلبي الحزين الذي شهد ولادة ابنته و حُبّه
مرتين، لكنه لم يستطع الوصول إليهما أبد الدهر.

أكتب رسالتي إليك وأعلم جيداً بعدم وصولها لك، لكن
عزائي الوحيد كلماتك التي تركتها لي قبل مغادرتك و
الكثير من العشق المُتيم الخالص داخل صفحات روايتنا
التي كتبتها لنا ليُخَدَّ عشقنا بالتقاء قلبينا قبل جسدينا و
تعزية أرواحنا كمن يقف أمام مرآته يرى نفسه بعيوبه و
محاسنه، حبيبيتي قبل كل شيء تذكرني أنني أحببتك
بجنونك ومشاكساتك التي كانت تداعب روعي لتعيدني
نحو الطفولة.

و الأمر الجيد أنني تعلمت الضحك من كل قلبي عند
رؤية الأطفال و الورود كما تمنيت دوماً.

أمنيته الأخيرة أن تبرزغ شمسي مرة أخرى بلقياك يا
حبيبة وابنة القلب

حلم:

كانت تراقب أشعة الشمس البازغة بدلال مفرط وهي تجلس على المقعد الخشبي داخل الحديقة التابعة للعمارة التي جاءت إليها حديثاً بعد وصولها إلى القاهرة.

وضعت أمامها جهازها المحمول و حاسوبها المتواضع برفقة أقلام الحبر الملونة و كراسة صغيرة لتدوين الملاحظات، و ثلاثة أكواب من القهوة، البعض من الرقائق المخبوزة منذ أمس.

لم يكن لديها أدنى فكرة ما الذي ستفعله طيلة هذه الأيام لوحدها، لذلك قررت النهوض و مراقبة الأطفال من حولها لتأنس بقربهم.

قبل أن تشاهد الساعة التي في يدها تشير إلى العاشرة صباحاً لتقفز مسرعة نحو المنزل للاستعداد التام لأولى أيام المعرض الذي ستدخل إليه بفخر واعتزاز بولادة روايتها الأولى والتي تحمل اسمها كما كانت تحلم دوماً.

ارتدت ثوبها الأبيض ووضعت القليل من الزينة وهي تسدل شعرها فوق كتفيها، تنظر إلى مرآتها لتلقي النظرة الأخيرة، تحزم جميع أغراضها في حقيبتها المتوسطة الحجم، متجهة نحو أرض المعارض الدولية

أغمضت عينيها لتعود بها ذاكرتها نحو منزل الطفولة
التي عاشت داخله ذكريات الطفولة قبل أن يأخذه
الحرب من بين أيديهم.

كانت نافذة غرفتها تطلُّ على البستان حيث شجر
الليمون و الزيتون، يفصل بينهما نهراً صغير رقيق الماء
عذب اللون ينسكب على بحيرة تنعكس السماء فوق
سطحها كالمرآة فتري تلبُّد الغيوم القطنية، متوسطة
الحجم تتوسط المكان بزهو الملوك، تحيطها الأعشاب
النهرية من جوانبها، تشربُ منها جميع الحيوانات.

شعرت بالراحة و السلام يداعبان روحها ليخبو قليلاً
تعب السنين التي مرّت بسرعة كبيرة، وكأنها حبات
رمل ناعمة بقبضة يد طفل صغير.

كانت بوابات المعرض تحمل أرقام الأقسام التابعة له و
الدور التي تقبع داخل كل قسم على حدى، لذلك فضلت
الدخول وفق الخريطة لعدم تضييع الوقت حتى المساء
في إيجاد القسم الخاص بدار النشر التابعة لها.

تري الوجوه من حولها ضاحكة مشرقة، أما عنها فكانت
تمشي على استحياء وسط الزحام حتى وصلت إلى
القسم المكتوب على الرسالة الإلكترونية المثبتة لديها.

بحثت بين الرفوف بقلق و توجس شديد، حتى رأيت
غلاف روايتها لتتنفس الصعداء وتجلس على أقرب
كرسي، كانت تعلم جيداً أنها لن تكون وحيدة في هذا
العالم، ولديها حلمٌ أصبح حقيقة و عائلة تدفعها للصعود
نحو النجوم.

والتقينا

قلت لي ذات مرة: رجلٌ محظوظ في هذه الحياة من
يُهديه القدر أنثى كاتبة تعشقه بجنون وتُخدِّد اسمه بين
سطور التاريخ.

كنت أنظر إلى داخل عينيك البنيتين والدافنتين وأنا
أرقص على أوتار صوتك العذب بحذاء زجاجي أشبه
بالذي ارتدته سندريلا في حفل تتويج أميرها لكن الفرق
بيننا ، كانت تعلم تلك الفتاة الساذجة أنه حُبُّها الأوحـد،
لكنني كنت أعلم أنك صديقي و أمانـي ، والحُبُّ عندي يا
حبيب القلب هو الأمان قبل كل شيء .

ما بين السطور

هل تذكر زيارتنا الأولى لمكتبة أبناء سوهاج، في ذلك اليوم كنت الفتاة السورية الوحيدة في ذلك المبنى الضخم الممتلئ بالطلبة والمدرسين، لذلك شعرت بالوحدة الشديدة وأنا أراك تتصفح الكتب واحد تلو الآخر بنهم و شغف شديد دون أن ترى أو تدرك ما يحدث حولك

بعد عدة دقائق قطعت حاجز الصمت بيننا بصوتي الخجول وأنا أسألك و عيني مثبتتان نحو الأرض بشيء من العشوائية: ماذا تعرف عن قيس بن الملوح و حبييته ليلي؟

رُسِمَت على شفتك ابتسامة مكرٍ و أنت تضع الكتاب الأخير من يدك و تعبت بأصابعك الطويلة بحبّات الماء المُنسكبة على الطاولة الخشبي أمامنا قبل أن تعضَّ على شفتيك وتغمزني بمرح و أنت تقول: ما تعرفيه أنت بالضبط، لكن هل تودين إجابة ما بين السطور؟

عندما أحبَّ قيس ليلي كان يلحق بها من مكان إلى آخر،
وفي ذات مرة رآه أحد المُصلِّين يتبع أخبارها

فقال: لو أنهم أحبوا الله و أتصلوا به كما فعلت بحبي
لليلي لما لاحظوا شيئاً الحُبِّ العظيم الذي تعيشه القلوب،
لا ينتهي جميعه بنفس الطريقة البعض منه ينتهي بإتباع
ظلِّ المحبوب دون جدوى تُذكر.

على ضفاف نهر النيل

كنت تمشي إليّ بخطى ثابتة تحملُ بين يديك باقة من
زهر التوليب، وتمدُّ يدك الأخرى نحوي لتجذبني من
خصري، أما عيناك فكانت تغرقُ داخل عيناك البنيتين
حيث الشمس الدافئة تشرق من خلال أيام ربيعية تحملُ
معها أرواحنا الطفولية

أما أنا فقد ارتديت لك الثوب البنفسجي الذي أهديتني إياه
بعيد ميلادي الثلاثين وأنت تهمسُ لي : لم أرى امرأة
ثلاثينية تفوقُك جمالاً و غُنْجاً، رفعت شعري المُجعد نحو
الأعلى بملقط أسود اللون.

أمام نهر النيل كانت بدايات عشقنا، في هذا اليوم وقفتُ
أمام ضفّته سكبُ نبيذ عشقنا نحو أعماقه ليختلط لون
الدم المُعتق بصفاء لون مائه العذب.

شعرتُ بأنفاسكِ الثائرة فوق عنقي بعناق الشوق واللهفة،
فتذوب داخل أضلعي الكلمات وتهربُ من عيني دمعة
تسكنُ أصابع يدك

ينقسم قلبي إلى مئات النساء، زاهدين في عشقك يرقصنَ
حولك كصوفيٍّ يحملُ آلاف الورود من العالم أجمع
قرباناً لروحه و للتشافِ بالقرب، يولدُ لي منك عشرات
الأطفال برائحة الياسمين والليمون ودم الفراغنة و قلب
الرومان القدامى.

ونصف قمر

ينتصفُ القمرُ وسطَ السماءِ و النجومُ ترقصُ على لحنِ
عشقِ قلبينا، لا شمسُ ستشرقُ قبل اتحادنا يا حبيبي.

خطوطُ يديك تنحُّ على جسدي تذللُ الرُّمانَ في
صدري تعتصرُ راحةَ كَفِّكَ حباته لتخضع لك بسلام
الزاهدين، ويعتصرُ القلبُ شوقاً لِقُربِ أنفاسك منه.

درويشيه أنا زاهدة بين يديك والياسمين كان قرباني
الوحيد أمام حُبِّكَ العظيم.

أرفعُ يدي نحو عينيك البنيتين حيث حقول القمح الذهبي
و ضحكات الأطفال البريئة تتشابه مع صوت نبضات
قلبنا الصغيرين.

تنزلقُ يديك نحو جسدي أكثر و تشدني إليك فأسكن بكِ
دون عودة، في عالمك الأكثر رحباً و حياة أجمل و
أقوى.

ابنة قلبك يا حبيبي الجميل، تلك الفتاة التي كتبها قلم
القدر لتصبح أنت في مكان آخر.

ستجد داخلي روحك المجنونة، قلبك الرقيق وعقلك
الكبير، ملامحك المُخبأة عن العالم الخارجي وجميع
أحلامك.

حبّات التوت البري القابضة على ثغرك كانت ثمار
شجرتي المُحرّمة التي أُنبِتت بين أضلعي.

كصوت غابات الحور كان شوقي يهتدي إليك، لأنّك
ربيع قلبي والحياة له.

أصبحنا أكبر من لعبة العُشّاق يا جميل القلب، لكننا نعلم
مدى حاجة كل واحد لروح صاحبه ليسمو في هذه
الحياة.

أقفُ أمام المكتبة التي قامت بجمعنا للمرة الأولى داخل
جدرانها المُزدحمة بالكتبِ المصفوفة بعناية تامّة داخل
أقسامها المُختلفة، حيث كُنْتُ تجلس على إحدى المقاعد
الخشبية تحملُ بين يديكَ كتاب البداية و النهاية، تُثبّت
عينيك نحو صفحاته و تنتقل بينها بعناية تامّة.

تأمَلْتُكَ كثيراً قبل تفكيري بطلب المُساعدة منك في
اختيار الكتاب الأنسب، ليس لعدم وجود الخيارات
المتاحة أمامي!

وددْتُ التعرفُ إليك عن كثب، لكنني لم أعلم يوماً أنّك
ستكون بدايتي ونهايتي لهذه الحياة، لقد غيّرَني عند
نظري للمرأة لا أرى نفسي التي كنتُ عليها سابقاً، حتى
مع عدم تغير لون عينيّ أو حتى تقاسيم وجهي، شيء ما
خرج منك واستقرّ داخل قلبي.

أمسية روحية

يدعونا الحُبُّ إلى أمسية روحية حيث يجلس معنا على
ضفاف نهر النيل.

يُسامرنا فوق بساط رقيق نسجته بشغاف القلب يا
حبيبي، حاملٌ بيديه سلَّة قشِيَّة يضع بها الكثير من
القُبلات و عناقٍ كبير لأحضانك الدافئة.

في هذه الليلة سأرتدي لك فستاني المنسوج بأزهار
الليلك البنفسجي و الحرير التوتية و شعري المصفور
ينسدلُ فوق كتفيّ يتشابكُ مع الياسمينِ الدمشقي
والريحان .

تراني من بعيد قادمة نحوك بخطوات رقيقة، تمُدُّ يديك
نحوي لتُعانق يدي، تقترب مني وتضع قُبلة رقيقة فوق
عنقي فأميلُ نحوك كمن يعود إلى نفسه الضائعة منه.

ترسمُ على شفتيك ابتسامة صغيرة تطبعها على ثغري،
ويديك حول خصري تقربني من حصون مملكتك،
تدخلني إلى ساحات قصرك وتجعلني أرقصُ معك على
مقطوعة موسيقية عزفها النيلُ لأجلنا فقط، تدورُ بي
الدُّنيا وتسندني بقلبك أنت.

يسْكُبُ لنا القمرُ نبيذَ الشوقِ بكأسِ ضخمٍ يميل عنقه نحو
السماءِ مُرسِلاً أمنيّاتِ الرُّوحِ.

يقرِّبه إليكَ تشربَ منه أوّلَ رشفةٍ من كأسه الملاء، وأثملُ
أنا بعطركَ المعتقِّ بماءِ العشقِ.

هنا في قلبي حيث لا وجود إلا لك أنتِ..

وفي هذا المكان يهفو الفؤادُ للقربِ منك و يبتلع الحُبَّ
ملاذاً له.

الفصل الثاني: قلم حمرة

حروف مُبعثرة

تسألني ما هي أكثر المراتب عظمة داخل الحُبِّ فأقول
لك أن تكون المأمّن وبأن تحظى بالسند على الدوام مهما
بلغت أخطائك أو حمقت تصرفاتك، وبأن لا تخاف من
الفراق أو حتى البعد بعد القرب لسنين طويلة

الكثير منا يعيش قصة حُبِّ كبيرة تنتهي بفراق على
أسباب لا تعدوا أن تكون بسيطة، يا حبيبي لو كنت تريد
الفراق فلا أحد يمنعك، لكن تذكّر على الدوام، المحبة
الحقيقية تمحو الخطأ مهما كان، لكن الخطأ لا يمحو
المحبة من داخل القلب

لا أحد منا يستحقُّ أن يُترك دون أسباب أو حتى لحظات
وداع، ولو ببضع كلمات مُبعثرة

لا أحد منا يستحقُّ أن يرى نفسه لم يكن كاملاً أو حتى
كافياً للطرف الآخر، حتى في قوانين الفراق الأمان لا
يلغى مهما بلغت الكراهية.

الأيام

من اليسير إشعال نيران العشق داخل القلب، لكن من الصعب المحافظة على الدفء والشغف لمدة طويلة.

ستحتاج إلى الكثير من الصبر المغموس بعلقم الحياة، والثقة الكاملة بمن أعطيته مفاتيح القلب.

تمرُّ أولى الليالي وتُنيرَ الأمل المتبقي داخل أضلعك، لكن عند أول إشراقة شمس في الحياة لا تتوقف المتاعب عن الركض وراء الطرفين العاشقين، القوي فقط من يحاول التمسك بيد محبوبه حتى زوال العاصفة.

ستخبو نيران الحُب بينهما من حين إلى آخر، فيشعر كلاهما بظلمة الشوق وألم الفراق، الثقة المتبادلة وحدها الكفيلة بتحقيق الثبات حتى نهاية الليل.

وحدها الحروف والكلمات التي يكتبها من ستقرأ لتُخد عشقها الممزوج بالصبر الجميل.

وحدها الأيام كفيلة لإثبات وفاء الحُب ورسوخه بين قلوبهما.

جبروت

تراها تقفُ ساكنةً بهدوئها المٌخيف تنظرُ إليك بعينين
يشوبهما الأمل الكاذب، الخوف المٌتواري خلفَ القضبان
الغليظة الباردة والرطوبة داخل روحها، المٌمتلئة بالدم
ورائحة العفن.

تلك الجدران التي تجلسُ خلفها فتاة نحيلة الجسد غريبة
الأطوار، تقضمُ أظافر يديها المٌرتجفتين تضعهما بين
شفتيها الزرقاء المٌجعدة وهي تنظر نحو الزوايا الحادة
للجدران إلى ما وراء الوجود.

بشعرها الأسود الكثيف تُخبئ ملامح وجهها ببشرتها
المائلة للزرقة وعينيها غائرتين نحو الظلام والمجهول.
دموعٌ تنسكب داخلها، تصبُّ نحو قلبها لتطفو الكراهية
والحقد الكبير إلى العالم الخارجي، وتطغي على حُبها
الكبير، فيتبدّل عشقها العظيم إلى جبروت وقسوة
الطُغاة.

أحبك

تُغرقني داخلك في كُلِّ خطوة أقترّب بها نحوك،
يميلُ رأسي على صدرك، وتدور حولي أحلامنا،
لنُحلّق فوق قلوبنا بأجنحة ذهبية.
يديك حول خصري تقربني منك،
وبخطوات سريعة ترفعني نحو السماء،
حيث النجوم المُتراقصة حول القمر.
تلتقي أنفاسنا للحظات قصيرة،
فتذوب على شفّتي الكلمات فأحبك أكثر من ذي قبل!

الوطن الدافئ

انعكاس ملامحي داخل مرآتك، وسماعك صوت
ضحكاتي في أذنك ليضحك قلبك الكبير ببراءة الأطفال
العاشقة.

تجدُ نفسك تفعل كل الأشياء التي فعلتها ووصفتني حينها
بالجنون و التهور، تبحث عني ما بين السطور لتعانقني
لكنك لن تجدني بهذه السهولة!

أنا الماء المنسكب بين شفتيك ليروي عطشك، قلبك
النابض داخل أضلعك، بل نسمةً علية تمرُّ مرَّ السحاب
فوق وجنتيك، تقطفُ توتاً برياً ليثمر ويعطيها الوطن
الدافئ.

عطرك الشهى

عزيزي أتعلم أنني بنيت من حُبنا صرحاً مُمرّداً بالكثير
من العناق و القبلات التي لطالما وضعتها بكل شغف
وجنون فوق لحيتك الكثيفة.

كانت عينيك وطني الآمن، ومقطوعي الوترية

التي لا أملُّ من سماعها مهما كبرنا بالعمر!

خبأت آنذاك عطرك الشهى داخل قارورة زجاجية
قديمة، وسكبت فوقه البعض من النبيذ الأبيض يتخلله
أوراق من الورد البنفسجي.

واضعة إلى جانبه كمانك الذي مزّقت أوتاره ذات ليلة
بسبب غضبي، من رحيلك المفاجئ!

خبيّة

و ينكشف عن عين قلبك ستار الغفلة فجأة
لم تكن محبوباً لذلك الشخص الذي أحببته على الدوام ،
بل كُنْتَ أُسِيرَ نظرات الشفقة والرحمة، أنت بطل
مسكين في قصة إنسان غارق في ذاته فاقدٌ للحُبِّ العظيم
الذي لطالما تمنّاه ولم يعطه أحدٌ سواك.

رحيل

لم أندم قط لأنني أفلتتُ يدي ورحلت دون الالتفات للمرة
الأخيرة...

أعطيت من أحببت مئات الفرص لكنهم أرادوا خسارة
المعركة!

وحيثما شدَّيتُ يدي بكلِّ قوتي لم أصرخ من الألم و
آثرت الصمت على البكاء.

كانت جَمْرَةَ العشق داخلي كقذيفة بإشعال الكون بأكمله،
لكنني علمتُ في النهاية كما أنَّك لا يمكنك إعادة شخص
إلى الحياة.

لن تندم على خسارة شخص كان لك صديق وحبیب.

همس الليل

تشاركني همسات الليل حنيني إليك، لا تُصدّق كذبة
النسيان التي خدعونا بها و نحن أطفال صغار!
فلتسأل زمان تحفرُ دموعُهُ أخاديد عميقة في قلبي،
تسكنها ملامحك البريئة و المرححة كما عهدتها قبلاً.
يتوارى خلفها عشقك الخالص المُنكفئ داخل صومعة
بنيتها خصيصاً له، كي يبتعد عن ألسنة الناس و
نظراتهم، يختبئ خلف جبلٍ من القصاص المُستهلكة،
الابتسامات الخبيثة و المُبتكرة..
يذهب إلى طرقٍ طاهرة نقية لا تعرفها أقدام البشر!
حُبِّكَ الخفي الذي ما زلت أوّمن بوجوده كطفلة صغيرة،
ترتدي ملامح امرأة قاسية الملامح، بجلبابها القاتم
المُهيب بارعة في تمثيل السعادة.
أنسيتَ قلبك المشاكس الذي ينبض بين أضلعي، لأشعر
بدمي يجري في جسدك.
ضيّعت نفسك فضاع كل شيءٍ معك؛ حتى الطرقات
التي كانت تودي بي نحوك اختفت فجأة فلم يسعفني
العودة بجسدي إليك.

الفصل الثالث: غصن الزيتون

كان يجلسُ على المقعد وبيده العود الخشبي المُعتَق
بالإيقاعات الموسيقية التي راقصتها أصابعه بإتقان، كما
لو أنَّه تعلَّم العزف على الآلات قبل تعلمه المشي.

أما أنا فكنتُ أجلسُ إلى جواره مُستمِعة إلى الألحان
المنبعثة من القاعة، وعلى الرغم من كثرة الآلات
الموسيقية إلا أنني استطعت في كل مرة تحديد مكان
جلوسه داخل الفرقة من خلال رائحة عطره.

و إنَّ للْحُبِّ عطراً ذو رائحة تتميز بنبضات القلب
المُرتجفة و الحياة التي لا تتضُّب من ألوانها المذهلة.

كانت الحياة في كل مرَّة تهديني رائحة مختلفة لأراها
كما لا يفعل الجميع من حولي، وأنا الفتاة التي اعتادت
على رؤيتها من خلال أعين الناس من حولها ورائحتها
الجميلة بحلوها ومُرِّها منذ الصغر لفقدي نور عيني.

ابتسمت برضا وأنا أقول في نفسي لكنني الآن أرى جيداً
وشمس القلب نورٌ يسطع داخل حياتي، ومن لي سوى
شمس ليريني الحياة كما هي برونقها العذب و ألحانها
الممزوجة بالكثير من الشغف.

بدأ صوت الأوتار يبتعد شيئاً فشيئاً لذلك قررت النهوض
للحاق به، لم أكن أعلم أين وجهتي القادمة أو حتى
الطريق الذي سيوصلني إليه حبي الكبير له.
يتقدّم نحو طاولة زجاجية يسكب كأسين من النبيذ،
والقمر يقترب من منتصف السماء يشهد لحظّاتنا
الأخيرة معاً.

يدور حولي وهو يهمس لي تراتيل العشق ويشدّ على
يدي ليقذف بي نحو السماء السابعة، لأراقص القمر.
يأخذني من يدي يُمسك خصري ليقترّب مني على مهل،
بأنفاسٍ ملتهبة ونبضات قلبه التي تشي بحجم الجنون
الذي عايشته الحياة داخله.

يُراقص روعي بمرونة وخفة؛ يهمس في أذني أما زالت
الحرب قائمة!

أشعر بالغضب الشديد يعتمر صدري وأترك يده للابتعاد
عنه فيمسكني من أطراف قلبي ليلتصق بجسده العاري
من الوضوح مرتدٍ معطفه الجلدي الذي تختبئ خلفه
قصصه الكثيرة مع نساءٍ أخريات، تحكيها رائحة الدم و
العفن القدرة لتتحدث عن حروب باردة لعقد كامل من
العمر، خاضها ضدي بخيانتته المُتعمّدة.

يعود بي خطوتان إلى الوراء في كل واحدة منهما خمسة
سنوات من العشق المتيم به حد الجنون، حد الموت.
كانت وما زالت تلك الطفلة الراكضة في طرقه الفاقدة
لنور عينيها، التوّاقة لنور شمسه البعيد المدى.
لتصبح شابة يافعة ترقص على أنغام عوده العتيق فوق
أرصفة دمشق القديمة.
وفي لحظة يعيدني إلى الواقع بلمسة من يده فوق كتفي،
لأدور حول نفسي وأشعر أنني امرأة بعقدها الثالث ترفع
شعرها المُمَوَّج بكبرياء مبالغ به ترتدي ثوباً اختارته
بلون رائحة الكرز الحامض.
أحبسُ أنفاسي عن حُبِّه لكن ما يلبث قلبي أن يتمرّد
ويقبّل شفّتيه، ليشتعل داخل صدري جمرة قادرة على
حرق الكون بأكمله.

جمرةُ الحُبِّ التي أطفأتها نيران الحرب و العشق داخل
متهاته الخائنة، أعلم أنني ضعيفة أمامه لذلك سأرحل
بكلِّ ما أحمله من شوق، نحو مدينة لا تفقه تراتيل
العشق أو حتى ألحان العود.

أما القمر سقطت ملامحه مثلي تماماً، لم يكن يبكي أو
حتى حزين، بل صامتاً يقفُ على حافة الزمن.
عانقته و أنا أهمس في جنون: أنا مثلك يا قمر أحببتُ
شمساً فأحرقنتي..

منعطف طريق

عزيزتي ديانا:

أقف أمام جُثمَانك أرى الناس من حولي تضع لك
الأكاليل، شيء من البرودة سرّت داخل أطرافني
فأصابتها بالحدَر.

هل إذا أخبرتك أنني آسف أمام الجميع سأعود إلى
المنزل وأجِدك بانتظاري في الرّواق المؤدي إلى غرفة
الجلوس؟

سأجلبُ لكِ معي قالب من الكيك الاسفنجي بالفواكه
المُجفّفة، وقارورة من عصير المانجو المُثلج.

في هذه الليلة الأحموانية ؛ ولا أعلم ماذا تعنيه هذه
الجملة بالتحديد – قررت استخدام مفرداتك لتغفري لي،
اعذريني لو كان استخدام خاطئ تماماً.

اعتقدت أنها تُقال نهاية كل ليلة سعيدة!

لأعطيكِ وردة جورية حمراء، والكثير من العناق برفقة
الأنغام الموسيقية الأَحَبُّ إلى قلبك.

لم يكن هدفي إثارة غضبك أو حتى شعورك بالإهانة
فأنتِ تعلمين جيداً أنني لستُ رجلاً سيئاً على الرغم من
أخطائي الكثيرة!

وأنا لستُ بالجيّد في العلاقات الاجتماعية كما تعلمين!
هل يمكنني الغفران لنفسي برحيلي في ذلك اليوم قبل
سماعك للمرة الأخيرة.

ليتك هنا فأستطيع البكاء فوق أحضانك؛ حُزني كبير
يفوق الوصف؛ لكنك الراحلة.

لا أظنُّ يا عزيزتي بأن الانسان يستيقظ في الصباح
الباكر عاقداً نواياها ليصبح الأسوأ فوق هذه الأرض!
يجد الإنسان نفسه داخل قاع الجحيم، بسبب عيشه داخل
مجتمع لا يفقه شيئاً عن الحُبّ النقي .

روز ماري

تناهى إلى بصرها ذاك الجمال القدسي الذي حظيت به
أشجار الزيتون و الصنوبر المتعانقتين بحبٍ مديد منذ
بداية الخلق، ولامست يديها جميع الأزهار بما فيهنَّ
الأقحوان، الزنبق و الروز ماري، عبّاد الشمس الجالس
برقّة مُعانقٍ إكليل من القمح الذهبي.

و تعالت إلى أقدامها الأعشاب الرطبة المتوسطة الطول
تُرحب بها، لتنتهي أمام ساحة المسجد الأقصى، حيث
الحمّام يرقصُ في السماء كتراتيل عِشقٍ للاله الذي
أحسن صنعها.

تنفست بعمق بعد أن وصلت إلى الساحة وهي تتلو
صلواتها أمام الحرم المُزخرف بدقة و إبداع تشيده
الأعمدة العظيمة و امتزاج الحضارات القديمة القدسية
للأديان السماوية، قبل أن تلتفت إليه قائلة باطمئنان
وسكينة:

- كيف كان بالإمكان أن يتناهى للعالم العربي هذا
الجمال و يُسلب منهم دون أي مقاومة سوى من
شعبها العظيم!

تسلّلت إلى مقاتيه دموع الماضي، حيث أصوات القذائف
الصاروخية و القنابل اليدوية التي عانى منها سكان
القرية منذ نعومة أظافره، تذكر نحيب أمه لفقدان زوجها
و عائلتها، و أنين شقيقته المُغتصبة، و تذكر... غياهب
السجن و رطوبة جدران المظلمة!

ابتلع آلامه دفعة واحدة بصعوبة بالغة، تلك التي لطالما
علقت في حنجرته ولم يستطع البوح بها، عن أوجاعه
التي ضاجعها الصهيوني بكلّ قسوة و ازدراء،
بصرخات مكلومة ونبضات قلبه المرْتجفة.

نظر إلى الأرض وكأنه يبحث عن شتات روحه الضائع
وكلمات تنقذه من بئر غاص داخله دون رحمة!

رجفت شفّتيه بمرارة قبل أن يسعفه صوته الضعيف
بيقين المُحبّ الملهوف : لدينا كل شيء لا يملكه هذا
العالم المجنون، ربُّ يسمع مناجاتنا و يحتضن دعواتنا.

ساء قرين

تخنقني الكلمات في حلقي.
لستُ بالقادرة على بلعها إلى جوفي.
ولا يمكنني إخراجها و تفتك بمن حولي.
كانت اللحظات الأخيرة برفقتك، تبوح عن المرارة و
الألم الذي عايشته لسنين طويلة عشتها إلى جانبك، إلى
متى سيدوم هذا الألم!
وحُبِّكَ الذي لم يعد المنجاة لقلبي.
أصبح القرين للروح، بل ساءَ القرين.

لذة الوصول

هل شعرت بلذة الولوج إلى عوالم موازية؟
أن تكون في المكان المناسب و الوقت المناسب لما
يشتهيهِ قلبك الصغير.
السفر نحو بلدان مختلفة لم ترها قط عينيك الواسعتين.
هل جربت أن تسافر روحك لجسد مختلف تماماً عنك!
العيش داخل قصص وحكايات لا يعلمها أحدٌ سواك.
أم استطعت يوماً الجلوس إلى جانب كاتبك المفضل
واحتماء كوباً من القهوة في إحدى المقاهي، تستمع
برؤية البحر الأسود أمامك و الجبل الشامخ الأخضر، ثم
يباغتكَ تساؤل عجيب : ترى لماذا سُمِّي البحر باللون
الأسود على الرغم من جماله المُبهر للعيان؟
ترى من ورائه أعمدة عادِ الأولى، وبيوت ثمود
الحجرية فيخشع قلبك لعظمة الله و خوفاً من عقابه،
فتبادِر لتترتيل آياته الكبرى.

هل سبق لك سماع قصص الأنبياء و تخيّل العيش
داخلها، المشقّة التي تكبّدها للوصول إلى نور الحقّ لهذه
الأمة.

أجربت المشي في الصحراء حافي القدمين، مُبتعد عن
موطنك رحمةً للعالمين.

جميع المشاعر التي عايشتها و سكنت داخلك مهما كانت
صعبة على قلبك الصغير تهون عند سماعك قصص
الأولين.

حُبّك الكبير سيغدو صغيراً أمام عظمة الله الذي أعطاك
الأفضل.

وردة حمراء

كان كل شيء يحدث أمام ناظري، لكنني من الذي ابتلع
هدوء العالم، أو أنه كَبُرَ داخل رحمي حتى أنني لم أشعر
بوجوده حتى اليوم بسبب ضخامته التي تدور في
أعماقي.

كان الوقت يتسرّب من بين أصابع الحياة كما يتسرّب
الرّمْلُ من بين أكفّ طفل صغير.

لكنني لم أعد أهتمّ لما يحصل كما في الماضي، وقد
بُتِرَتْ أصابع يديّ دون رحمة!!

وما الذي يعدّب المرء أكثر من رغبة أصابعه لمضاجعة
الحبر الورق، بالرقص على إيقاع الكلمات، لكنّها رحلت
بالرغم من حاجتها إلى البقاء معه.

كوردة حمراء قُطِفَتْ ليضعوها أمام نعش امرأة لم
يخبرها أحد قبل رحيلها كم أنها كانت تستحق حياة
أفضل!

بل اكتفى الجميع ببضع كلمات رخيصة الثمن: كانت
امرأة صبورة، مكافحة في الحياة، بالرغم من صعوبة
فهم مزاج زوجها و أطفالها الخمسة، ولقد توفّيت بسبب
عدم اكترائها لصحتها، الآن سترقد بسلام.

على الهامش

نظر إلى داخل عينيها وتأملهما بعمق وحزن، وهو يضع
سلة البيض فوق الرصيف المجاور له.

كانت يديه الباردتين يميلُ لونهما إلى الأزرق وشفته
ترتجف من شدة البرد الذي أثلج جسده، أما روحه
فكانت تتقدّ كنيران أشعلت منذ آلاف السنين.

تعثرت حروفه وسقطت في بئر لا قرار له كما فعلت
أحلامه الطفولية و آماله في إكمال دراسته، وأعباه
الضائعة منذ زمن الحرب الدامية!

سقطت معها ملامحة البريئة ويديه الناعمتين، صوته
المنخفض الممتلي بالصرخات لوالديه الراحلين.

لم يسعفه أي شيء للبقاء ثابتاً وهو يشاهد أمامه كل ما
خسره في هذه الحياة بين أيدي التجار الأغنياء.

شعرت بحيرته وقلقه فمدت يدها نحوه وهي تقول: هذا
رغيف من الخبز الساخن سيدفي معدتك.

تقهقر حُزناً من فرط الألم وصفح يدها بقسوة وهو
يجيبها: معدتي ممتلئة بالألم حد الشبع.

لكن هل سألتني نفسك يوماً: لماذا يجوع الإنسان في
وطنه؟

الفصل الرابع: بقايا الروح

كأس الحب

الحُب في قلبي يأخذني نحو السماء الصافية، حيث
النجوم المُتراقصة حول الشمس البازغة بدلال مُفرط.

نجوم لا يراها أحدٌ سواي، تختبئ خلف غيوم قطنية
بيضاء ضعيفة مثل روعي على الرغم من انعكاساتها
النقيضة للأمر.

الخوف القابع حول كاهلي يُمسكُ قدمي بقوة ليجرّها
نحو القاع حيث المحيط الغاضب، و الأمواج الثائرة
بعُنف.

أما أنت يا حبيبي تقفُ على الشاطئ حيث الرمال
الناعمة، تحملُ بين يديك الياسمين والورد الأحمر
يمزجهُما دمٌ أسود اللون ينسكب بينهما بتدفق عجيب،
ترتوي منه يديك الحانيتين القادمتين نحوي..

عدتُ إلى نفسي ماذا عني أنا؟!!

أنظر إلى ملامحك البريئة تسقطُ داخلي تميلُ بي في كل
اتجاه، تضحك معي بصخب عندما أبكي، وتصرخُ
بوجهي إذا ما ضحكت!!

لا أعرف ما الذي يقذفني نحوك سوى رؤيتي للجحيم
ورائي و الجنة أمامي، أتساءل داخلي كيف للجنة أن
تقع داخل عينيك البعيدتين...

يرتجف جسدي لكنني لم أعد أقاوم، هل أترك نفسي
للمحيط فيسحبني إلى داخله!؟

أم كان يتوجب علي المقاومة أكثر!؟

أعلم جيداً مقدار حاجة عشقنا لشرب كأس الحُبِّ للبقاء
على قيدٍ من الحياة.

بيدك

بيدك؛ طريقي الذي أمشي داخله، تنحتُ فوقَ جسدي
سور يحصنني، كأعمدة رومانية قديمة تحملُ لغات
العالم القديم، بهندسيات بابلية، وحروف هير و غليفيه.
عينيك؛ غيوم خريفية، تمرُّ على أرضي، تمطرها عشقاً،
ترقص فوق جسدي، بقطرات تمتازُ بحبات الرمل
ليرتوي قلبي، من بعد طول عناء، أملاً وحباً يُعْتَقُ
أجنحة الروح، تُلدُّ مقطوعة موسيقية تُسمَّى نبضات
القلب.

شفتيك؛ تُعانق ثغري وتشعل سراجي، لتتير عتمة الليالي
المظلمة، تغزل لي من القمر شالاً، أضعه حول عنقي،
تزينه قُبلاتك العاشقة.

أضلعك؛ تقترب مني أكثر، ليتحد جسدينا معاً ونصبح
نهرًا دافق،

يجري بين المرج الأخضر و الجبل الشاهق.

أما أنا؛ فأدورُ حولك، كما تفعل الأرض حين تقترب من
القمر،

بين مد و جزر تقربني من شيطانك الحياة و تبعدني
قسراً.

كلمات

و إنني أحببتك بالرغم عن المسافات الطويلة..
فبنيْتُ لي زورقاً من الورق لكي أصل إليك..
لا يعنيني أن تكون مختلف عن الصورة التي رسمتها
لك في مخيلتي.

يكفيني أن تكون روحك التي أحببتها قابعة بين جنبيك
حقاً!

أتعلم يا عزيزي، بأنني لم أعتقد يوماً بأنني سأعيش حالة
الحُبِّ بهذه الطريقة العشوائية و المجنونة.

أستيقظ في الصباح لأجد كلماتك على هاتفي، فأستنشقها
بأنفي زنبقاً دمشقياً مُفعماً برائحتك أنت.

خبأتُ لك في جعبتي، دموعي الكثيرة التي أفرغتها ذات
ليلة مُمطرة إثرَ شوقي إليك، و قميصاً باللون الأزرق
كُتِبَ عليه باللون البنفسجي أحببتك باللغة الأرمنية، و
عودك القديم الذي لطالما عزفت عليه كُلاً ما حاولت لمسَ
أصابع يديك.

حسناً، لم أعد أنتظرك كما فعلت في الماضي، لكنني
لجأت إلى السفر علني أجدني داخلك، فأعود إلي.

كلانا حبيب

كلانا وحيد؛ يرتشف كأس نبيذ عشقه في نهاية العالم
الممتلئ بالظلمة والجهل.

كلانا وحيد؛ يجلسُ فوق أريكة الصمت بقلبٍ يصرخُ من
الجنون والشوق لرحيل من كان له اللحن، الصوت،
والربيع.

كلانا يا صديقي؛ صديق يحملُ عن الآخر ماضيه، خوفه
الذي سكن هو اجسه في ليالٍ خريفية أتعبت كاهله.

كلانا يا حبيبي؛ حبيب رمتهُ الحياة على قارعة الطريق
ليصبح غيمة وسط سماء ربيعية تُمطر الحُبَّ في أرض
تتشابه معه في ملامحها، غريبة عنه في قلوب شعبها.

كلانا يا كوني حلمٌ بعيد، يأكلُ الشوقُ روحه لعناقٍ أخير
يجذبه نحو موطنه بسلام المحاربين القدامى و إنهاء
حرب يخوضها لعقود طويلة دون راحة.

أنت يا خليلي، الشمس التي تشرقُ لتُبددَ عتمة الليالي
وتُثيرَ الأمل الجديد في قلبي كُلَّ يوم لأشعر وكأنه بداية
العيد.

حلم وهذيان

ضجيج قلبي بات يخنقني إلى متى سوف أقاوم تلك
التفاحة التي ظهرت لي من الشجرة الملعونة، تلك التي
أنزلت آدم إلى الأرض.

أمشي باتزان أهل الأرض جميعاً مُثقلة بروحي وروحك
المنهكة حدَّ الانهيار واقفة بشموخ.

لا عليك يا عزيزتي تبقى بضع خطوات ونصل أتابع
بجسد واهن وعقل مشتت وكأنني ثملت عنك وعني
عندما مررت من أمام نهر عشقك و شربت منه إلى أن
ارتوت روعي، من بعد عطش دام ألف عام أو أكثر!
في ذلك اليوم كان كل شيء مثالياً حتى شعرت بنفسني
أقف فوق غيمة قطنية أشاهد غروب الشمس بعد نهار
طويل، تذكرت ركضنا معاً لتحدي الوقت والوصول في
الوقت المناسب.

تذكرت لقائنا الأخير ووداعك لي، وضعت قبلة على
جبيني وأنت تهمسين لي: إن هذا الحب كالحرب لكنني
لست بالمحاربة القوية، لذلك سأغادرك قبل إعلان
الخيبة، عله يكون رحيل الأوفياء.

لحظة ضعف

الأيام متشابهة بالنسبة إليها، ترتب غرفتها وتضع فنجان من القهوة أمام النافذة و هي تنظر إلى البحر المقابل لها. ترحل بعيدا عن هذا المكان، حيث رمال الشاطئ الدافئة تحت أشعة الشمس البازغة، نسمات الهواء النقي القادمة مع موجات البحر.

داعبت يدها لمسات صغيرة ناعمة أعادتها إلى الواقع، مسحت بطرف أصابعها دموع عينيها وهي تخبيئ ندبات قلبها المجروح قبل وجهها المنتفخ من آثار الضرب المبرح ليلة أمس.

كانت تلك الفتاة الصغيرة بروحها النقية ملاك يقويها ويعطيها الأمل، للبقاء على قيد الحياة، والاستمرار في المحاولة للهروب من ظلام الحياة.

البحر الأسود

جئت إليك بجنون البحر الأسود الذي يجري بدمي في
صخب، وقد انتظرت موعد لقائنا لسنين طويلة.

وفي صباح اليوم الموعود استيقظت باكراً، شربت
قهوتي على عجل فلذعت حرارتها شفتي بنار شوقها.

لكنني تناسيتها خارجاً نحو بائع الحلوى المفضل لديك،
طلبت منه إعداد باقة من الشوكولا لأجلك، تذكرت
كلامك في ذاك اليوم الممطر، وأنا أقف متأملاً البحر
الساكن داخل عينيك وإعطائي لك باقة الزهور،
ضحكتك الجميلة و أنت تهمسين لي داخل أذني: لو
كانت باقة من الشوكولا لفرحت بها أكثر، لكنها أحمل
الزهور التي رأيتها وسأضعها داخل أضلعي، كما أفعل
في حبنا.

تنبّهت بعد مرور الوقت إلى البائع يقف بصمت ينظر
إلي وهو يمدّها نحوي برفق.

وقفت أمام الحديقة التي حملت أسرارنا، رأيتك هناك
تقفي أمام شجرة الصنوبر تضعين على رأسك شالاً
أسود اللون، مرتدية ثوبك باللون الأحمر النبيذي، لكن
ما إن وصلت حتى اختفيت.

الفصل الخامس: أنثى ولكن

أنا أيضاً

لم أكن يوماً أنثى تحمل العديد من الأقنعة، لكنني أنا
أيضاً خيبة لشخص ما خذلته في نهاية المطاف، وأمل
لروح صغيرة حملتها داخل جسدي لأشهر فحملت
ملامي العمر بأكمله، وأمنية لشخص آخر يراني من
بعيد!

ولست بالمدعية الملائكية ولا أملك روح النرجسية،
لكنني مجرد أنثى شرقية لا تقبل بأنصاف الرجال أو
حتى مشاركة رجلها مع امرأة أخرى.
فإما أن يكون قلبك لي وحدي، أو سأغادرك ولو كانت
روحي بين أصابع يديك.

وبعض مني تبعثر في هذا الصباح عند رؤية عينيك،
ابتسامة شفقتك وانعكاس الشهد في عينيك، لا يسعنا إلا
أن أقول: بك يبدأ الصباح يا شمس الحياة.

عنوان

لكل كاتب عنوان يسكن فيه و يكتب كل ما في داخله من
عشق له، أما عني فإنني سكنت حبات البن داخل عينيك.

زهرتي الغالية التي أسقيها في كل صباح فتمطرنني
عشقاَ ليس له مثيل، عندما أنظر إلى البحر الساكن داخل
عينيك، وأتذوق البعض من الكرز فوق ثغرك الشهي،
لأدخل في سكرات العاشقين.

أسمري تتشابهان أنت و قهوتي في اللذة و المرارة و
العشق.

حبات البن

مساء الخير كل الخير لحبات البن القابعة في عينيك.
فمنذ أن خلقنا كانت الأقدار العودة إلى ما بين ضلعيك.
وهل يستطيع المرء أن يرحل بعيداً عن قدره، أو حتى
إنقاذ نفسه بعد غرق محتم عليه؟

فلتمد يدك نحوي لتأخذني إليك ودعني أسكن تلك الشامة
على صدرك، بعيداً عن كبريائك تعال لنعيش حياة خالية
من الحروب، يملأها السلام والعشق حتى يغار الربيع
وتخجل الورود من سحر وجنتيك.

جرح القلب.

ذلك الوجه المشوه يشبه جرح قلبي، لم أعد أبالي أو
أكثرث لما يقال عني!

أضع لك كوب قهوتك المر، الذي لم يجعل غيابك يمرُّ
من قلبي، ثم أضع لي كأساً من البابونج كما نصحني
طبيب روعي، لأداوي الندبات التي تعتلئها.

بحثت عن مرأتي كثيراً، ولكن لحسن أم سوء حظي
تذكرت بأنني قمت بكسرها لحظة خروجك، لأنني لم
أجد تلك الجرة الفخارية القديمة التي أهديتها لي.

ربما كل شيء أصبح مشوه مثل وجهي، حتى وطني
فعمق جرحي أكثر..!

لياليك البائسة

رمى كلماته القاسية بوجهها، لم تكن بدموعها أهمية كبيرة في قلبه و يا لقلبه القاسي : " ستكون لي رغباً عن أنفك" صرخ فيها وكأنها لم تكن تعني له شيئاً في يوم من الأيام.

احنت رأسها حزناً وانكساراً ربما تريد لوم نفسها على ما فعلته، فربما قصرت بحق تربيته، همست له : لا يا ولدي أرجوك هي ليست بالأم الصالحة أو الزوجة المثالية لك، لن تستطيع منحك الحب أو تحنو عليك في أيامك العجاف، أو حتى تداري دمعك حتى أنها ستنام في لياليك البائسة، تاركة إياك برفقة وحدتك مكسور القلب، وحينما ترحل عنك تكون قد كسرت كل شيء بداخلك"

لم يستمع لأمه بل تركها وحيدة بائسة تجلس تحت أشجار الزيتون، وهي تنظر إلى منزلها المغتصب. لم يبقى لها سوى القليل من الذكريات و دعوات معلقة تحت قبة الصخرة المشرفة.

خيانة

على حافة الهاوية أقف ما بين خوف و شجاعة، لحظة ضعف وتارة حماس، الموت من ورائي والعدو أمامي، وفي قلبي حزن على رفاقي، أما عقلي فكان مع تلك الرسالة التي بعثت بها والدتي تطمئن على أحوال.

في هذا الوقت إما أن تُقتل أو تُقتل ليس هناك مهرب، أحمل سلاحى بيد واحدة أما الأخرى فكانت مصابة بعيار رصاصي، سمعت صوتاً من خلفي وحينما حاولت الاستدارة أتت رصاصة من خلفي فاحتضنت صدري، لم أشعر بالوجع أو أي ألم، بقدر شعوري بالإهانة لأنها كانت رصاصة من سلاح صديق.

غيمة ربيعية

متى ألقى عينيك فأولد و أموت بسحرهما!

عندما يأتي الربيع نلتقي، بعد عام وحرب.

إذا متى سيحل الربيع فتنتهي الحرب؟!!

عندما نلتقي!

ومن ثم ماذا؟!!

ستمطر غيمة نيسان على قلوبنا فنشعر بعدها براحة

وكان الشوق لم يكن.

كما ألقى الله محبة لي في قلبك فكنت من الشاكرين.

مكابرة

تراقصت عالياً ربما تكابراً تارةً أخرى أحاول أن أدوس
على جرحي أو على رغبتني بالرجوع البكاء، بينما
أسمع أصوات الجمهور تصفق لي انبهاراً كنت أشعر
و كأن الأكسجين الذي في الكرة الأرضية لا يملأ رئتي
فكل شيء حولي بدأ يخنقني.

بعد صعوبة بالغة استدرت وركضت أجري هرباً من
كل شيء وأي شيء، إني أعلنت إجرامي نعم يا سيدي
القاضي؛ في تلك الليلة أضعت نفسي و قتلت روعي
باسم العشق والحب، هاربة من عائلتي لأحضان ذلك
الصياد البارع، الذي جعلني أقتل نفسي وأنا على قيد
الحياة، وقفت أمام باب الشرطة و من ثم ماذا؟!!

ليس هناك أي دليل ولا حتى حق " القانون لا يحمي
العاشقين " كما كان يقول لي دائماً أبي فقتل الروح و
تركك حياً لا يعد جريمة..

وجع الكبرياء يميّتي حد الوقوف وقراءة تراويل عشقك
أمام مسمع الملايين، من ذلك الكتاب الذي كتبته من
أجلك أنت في آخر سطر كتب فيه:

فلتذهب كل ساذجة أحبتك إلى جحيم روحها ولتحترق
بنيران حقدّها لأنها اختارت أن تدخل إلى وطن حُرّم
عليه.

مرارة العشق

ربنا إنك أدقنتني مرَّ العشق فإن لم ترحمني وتهب في
من عندك اللقاء لأكون من النادمين.

واقفة أنا على قارعة الطريق منسية كورقة، ذبلت
اهترأت وقسى عليها الزمان، ثم بعثرها ورمى بها إلى
الموت المحتم، كوردة قطفت بغير ذنب، وما ذنبها إلا
أن شذى عبقها قد فتح في الربيع، فأحبها ذاك الطاغي
وأخذ عبقها ورمى بها نحو محاكم القدر وسجونه.

سيدي دع غرورك جانباً وتعال نلتقي لتضمني إلى
صدرك وأسكن عينيك البنيتين وأخذ ما تيسر لي من
عشقتك، كورقة يابسة ضمها إليها جذعها فرجعت يانعة
وكانها خلقت من جديد.

وفى النهاية.....

لعينيك الشرقية سلامي وبعدها..
أرسل قبلاتي و كلماتي لحبات البن الساكنة عينيك.
أما عني فإنني تهتُ بك و عليك..
أركض وأبحث بشوق عن أملٍ يوصلني لاحتضان
وجنتيك وصدرك الدافئ.